العالم مقبول انه يعلم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير اكبر منه سنا قال انه اطاع الله
قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى
مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية اليّ كما
لم تكن ابتداؤها اليّ فبملاحظة الخاتمة يقدر ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم
ان الكمال في سعادة الاخرة والقرب من الله لا فيما يظهر من الدنيا مما لا بقا له ولعمري ان
هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد منهما ان يكون مصروف
الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسو
الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية وهم ينتظرون ضرب رقابهم لم يتفرغوا
للتكبر بعضهم على بعض اذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن هم غيره حتى كان كل واحد منهم
هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت كيف ابغض المبتدع والفاسق في الله وقد امرت
ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه ملتبس
على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال
بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس الى جنبه ازعجه عنه وتنزه
منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم
وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع
يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر
يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون
والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر في قلبك عند مشاهدة المبتدع والفاسق
او عند امرهما بالمعروف او نهيهما عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق
من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك الثاني ان تكون
ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انه
ذلك نعمة من الله عليك وله المنة سبحانه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك
واذا لم تعجب بنفسك لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته

وانه ربما يختم له بخير ويختم لك بشر حتى يشغلك الخوف عن التكبر فان قلت فكيف اغضب
مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك اذ امرك ان تغضب له لا لنفسك وانت في
غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من
خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه
ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول
اذا كان للملك ولد وغلام ووكل الغلام بالولد ليؤدبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه
واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فمهما راى الولد
اسا الادب ادبه وغضب عليه وانما يغضب عليه لمولاه لانه امره بذلك فانه يريد التقرب
اليه بامتثال امره ولانه جرى من الولد ما يكرهه مولاه فيضربه ويغضب عليه من غير
تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا
محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك
ان تنظر للمبتدع والفاسق وتظن انه ربما يكون قدرهما عند الله في الاخرة اعظم من
قدرك لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سو القضا في الازل
ومع ذلك تغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون
ان يكون اقرب عنده منك في الاخرة فهكذا يكون غضب العلما الاكياس فينضم
اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع
جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقاد البدعة
مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة
وفي ذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد
وذلك بان يعلم ان من يتقدم بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما قد عرفه من
فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فان قال العابد ذلك العالم عاص
بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما علمت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن

Copyright King Saud University